العمل روح الحياة

للاستاذ عبد المنصف محمود عبد الفتاح
واعظ مركز شبين القناطر

ان مجد الدين والوطن ، لا يبنى الا بأيدى نفوس فتية قوية ، تعرف كيف تؤدى الواجب فى أمانة واخلاص وعزم وتصميم ، وتأخذ الحق فى أناة وصبر ورفعة وحزم . وعلى كاهل أمة ناهضة ، لا تتهاون فى أداء عمل ، ولا تضيع ساعة من حياتها فى لهو وكسل ، بل تشغل جل وقتها ، بوضع لبنات فى صرح عزها .

وانه ما عرف العالم بأسره دينا من الاديان : حث على العمل ، وانتهاز الفرص ، كدين الاسلام قال الله تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** » وروى البخارى فى صحيحه عن المقداد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أكل عبد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » وعن الحسن رضى الله عنه فى تفسير قوله تعالى : « **وشاهد ومشهود** » انه قال ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد ، وانى على ما يعمل فى شهيد ، فاغتنمنى فلو غابت الشمس فلم تدركنى الى يوم القيامة . فترك العمل عكس ما جاء به الاسلام .. وليس الدين منحصرا فى العبادة من صلاة وصيام وزكاء وحج فحسب ، أو فى الفرار من الناس واعتزالهم ، بل ان التبتل فى الدنيا ، والعزلة عن المجتمع ، وحب الخلوة عن الخلق ، ليس مما يحتمه الدين الاسلامى ويدعو اليه . وكل عمل من أعمال الدنيا ، يراد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، انما هو من صميم الاسلام . ومن الدين أن يقوم الناس بأداء ما تتطلبه شئون الحياة من زراعة وصناعة وتجارة وحرفة ومهنة وخدمة ، بالطريقة السليمة التى بينها الاسلام وارشدت اليها تعاليمه ، والله جل شأنه يثيب عليها ، كما يثيب على الطاعات ، وسائر العبادات ، وكل ما هو من صميم الدين . عن كعب ابن عجرة رضى الله عنه قال : « مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله !! فقال صلى الله عليه وسلم .

ان كان خرج يسعى على أولاد له صغار فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « قدم قوم على النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر من الذكر .. فقال : أيكم كان يكفى طعامه وشرابه ؟ فقالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه » فلا نزاع فى أن كل انسان فى هذه الحياة الدنيا مطالب بأن يعمل : اما لنفسه ، ليحيى حياة كريمة ، ويعيش عيشة راضية . واما لاهله وبنى وطنه ، ليتم بينه وبينهم تبادل المنفعة والمشاركة فى كل عمل يحفظ كيانهم ، ويحمى ناموس وحدتهم . واما لمن يأتى بعده ، ليهيى لهم الجو الصالح والبيئة الحسنة بما يخلفه لهم من مآثر طيبة يعيشون فى ظلالها ، فى هدوء واطمئنان ، وراحة بال وصلاح حال . وقديما قيل : غرس من قبلنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل من بعدنا . وقال الشاعر الحكيم :

لسنا وان آباؤنا كرمت

يوما على الآباء نتكل

نبنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فاذا قصر الانسان فى مطلب من هذه المطالب ، وركن الى حياة الدعة والتواكل والخمول : كان كالعضو الاشل فى جسم الهيئة الاجتماعية يجب بتره ، بعد اليأس من شفائه ، خشية سريان العدوى منه الى غيره من بقية الاعضاء .

وقد رغب الدين الاسلامى الانسان فى أن يطلب الرزق عن طريق العمل ، ليستفيد ويفيد قال الله تعالى : « **فابتغوا عندالله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون** » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والتمسوا الرزق فى خبايا الارض » ولله در من قال :

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما أن تجاب فترزقا

وحث على احياء الارض الموات ، باعدادها للغرس ، أو بتهيئتها للزراعة أو نحوها .. وان مشروع الوادى الجديد: الذى ستقوم حكومتنا الرشيدة، بتنفيذه وابرازه الى حيز الوجود ، سيجعل من الاراضى الصحراوية ، فى القريب العاجل (ان شاء الله تعالى) جنة وارفة الظلال ، يانعة الثمار ، تؤتى أكلها كل حين باذن ربها . وهى الآن تقوم بتهيئة التربة واصلاحها،

وحفر الآبار اللازمة لها ، والتى تكفى لرى تلك الرقعة الشاسعة المترامية الاطراف ، التى تعد بالملايين من الافدنة ، ثم لا تلبث أن تقوم ببذر الحبوب وغرس الاشجار ، وبناء المساكن والمنشآت للذين يفدون الى تلك البقعة من أرض الوطن المفدى ، لعمارتها والاقامة فيها . وسيكون هذا المشروع مصدر خير ورخاء وتقدم وازدهار ، وتكفل الله عز وجل لمن يقوم بهذا العمل الجليل بالعون والبركة ، وعظيم الاجر وحسن المثوبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله واحتسابا ، كان حقا على الله أن يعينه ، وان يبارك له » وقال عليه الصلاة والسلام : « من نصب شجرة وصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له فى كل ما ينتفع به من ثمرها صدقة » وروى مسلم فى صحيحه : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أم بشر الانصارية فى نخل لها فقال : من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ قالت : بل مسلم يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا ، فيأكل منه انسان أو دابة أو شيء الا كانت له صدقة الى يوم القيامة » .

فواجب علينا أن نكد ونعمل ، لاعزاز ديننا ، واكرام نفوسنا ، ورفعة وطننا ، بل ولاسعاد البشرية جمعاء قال الله تعالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** » . ولينظر كل منا فيما قدم لنفسه ولدينه ولوطنه ، وليحاسب نفسه أولا بأول ، وليراجع بدقة وتبصر كشوفات أعماله ، وسجلات أفعاله ، فان وجد حسنا فليزدد اقداما ، وان وجد سوء فليرجع احجاما فقد ورد فى الاثر : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم » .

وقد وعد الله المؤمنين العاملين ، بالفوز والنصر المبين ، فحقق لهم وعدهم ، وأنالهم مأربهم ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا قال تعالى : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » وفقنا الله جميعا الى العمل بما فيه خير العروبة والاسلام .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

واعظ مركز شبين القناطر